أثر الظواهر الطبيعية في الثورات والتمردات في عصر الامارة الاموية في الاندلس ١٣٨-٣١٦ هـ.

م.م. غدير سعيد مهدي

مديرية تربية بغداد الرصافة/ الثانية

Sghdeer27@.gmail.com

الملخص:

كان للطبيعة دور كبير في حسم المعارك والتمردات في عصر الأمارة وتخليص الأندلس منها وحماية الدولة من الأخطار الداخلية الخارجية المتمثلة في الممالك الإسبانية في الشمال الأندلسي اذ شكلك تلك الظواهر احد العوائق للمسلمين في تمرد تلك المعارك او عكس ذلك للحفاظ على نشر الدين الإسلامي في صفوة البلاد رغم كل الاضطهادات التي تعرضت لها الدولة الاموية من جوانب مختلفة سواء كانت سياسية او اجتماعية او اقتصادية مما جعلهم عرضة للهجوم خوفاً من سيادتهم وسيطرتهم على الحكم ، مما أدى الى تعرضهم للثورات كثيرة وتمردات متعددة لأضعاف نفوذهم الا ان لقدرة الخالق دور كبير في عكس ذلك فقد كانت للتغيرات المناخية دور كبير واثر بالغ الأهمية في حسم تلك الثورات والتمردات على أراضي المسلمين من قبل المماليك واسترجاع الأندلس الإسلامية منهم، في عصر الأمارة الاموية في الاندلس ١٣٨-٣١٦هـ).

الكلمات المفتاحية: (الظواهر الطبيعية، الثورات، التمردات، عصر الامارة في الاندلس).

L'impact des phénomènes naturels dans les révolutions et les rébellions à l'ère de l'émirat omeyyade En Andalousie 138-316 Ah.

Ghadeer A déclaré Mehdi

Direction de l'éducation de Bagdad al-Rusafa II

Sghdeer27@.gmail.com

Abstract:

La nature a joué un rôle majeur dans la résolution des batailles et des rébellions à l'époque de l'émirat et en a débarrassé l'Andalousie et a protégé l'État des dangers internes et externes représentés par les royaumes espagnols dans le nord andalou, car ces phénomènes constituaient l'un des obstacles pour les musulmans à se rebeller ces batailles ou vice versa pour préserver la propagation de la religion islamique dans l'élite du pays leur influence, mais la capacité du créateur a joué un grand rôle pour inverser cela, les changements climatiques ont joué un grand rôle Cela a eu un impact très important sur la résolution de ces révolutions et rébellions sur les terres des musulmans par les Mamelouks et la restauration de l'Andalousie islamique à partir d'eux, à l'époque de l'émirat omeyyade en Al-Andalus **138-316 Ah** .

Keywords: (natural phenomena, revolutions, rebellions, the Emirate era in Andalusia).

المقدمة:

توالت إنجازات المسلمين في البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً من أجل نشر الدين الإسلامي في كافة بقاع المعمورة، وكان من أهم هذه الإنجازات فتحهم شبه الجزيرة الآيبيرية (الأندلس) (٩٢هـ/ ٧١٠ م) [١]، وشهدت البلاد أحداث سياسية عدة، فقد تعاقبت على حكمها حكومات

وعهود مختلفة، كان لها آثارها في جميع المجالات سواء كانت اجتماعية، أم سياسية، أم اقتصادية، ومن بين هذه العهود التي كانت لها بصمتها في تاريخ الأندلس هو عهد دولة بني أموية سنة(١٣٨ هـ/ ٧٥٥م)، إذ حكم امرائها الأندلس بحزم وقوة حتى فرضوا سيطرتهم على جميع البلاد، الا أن طال ما كان يُعكر صفوة نفوذهم وسيادة حكمهم الكثير من الثورات والتمردات ومحاولات القضاء عليها.

و الإمارة الأموية ظلت قائمة في الأندلس الإسلامية ومتربعة على عرش الإسلام بها طوال الفترة الممتدة من(١٣٨-٣١٦ هـ)، حافظوا امراء هذه الفترة على قوتها أمام الأخطار التي كانت تهددها سوءا الداخلية أم الخارجية، إلا أن هذه الأمارة بدأت في التصدع بسبب الثورات والتمردات وبعض الخارجين عن إمارة قرطبة[٢]، الرافضين لحكم بني أمية، وظلت الأندلس تعيش مأسي والاضطرابات إلى غاية سنة(٣١٦ هـ) حتى اعتلى سدة الحكم من سيخلص الأندلس من هذا التشرذم والضعف، ليكون هنالك بصيص أمل للأندلس لاستعادة قوتها التي كادت تفقدها، وهو الأَمير عبدالرحمن الناصر[٣] ،الذي اعلن الخلافة الأُموية في الأندلس بعد أن تمكن من القضاء على جميع التمردات ووحد البلاد تحت راية حكمه.

فقد كان للظواهر الطبيعة اثر بارز في المعارك الاضطرابات والوقوف بوجه التمردات في عصر الأمارة وتخليص الأندلس من التشرذم والتمزق سواء وحماية الدولة من الأخطار الداخلية الخارجية المتمثلة في الممالك الإسبانية في الشمال الأندلسي كان هذا الاثر عائق للمسلمين في تمرد تلك المعارك او عكس ذلك من العوامل الميسرة لقيام تلك المعارك وقبل ان نبحر في تفاصيل تلك المعارك والاضطرابات الناشئة لتلك التمردات لابد من معرفة الطبيعة في الأندلس وايضاح الظواهر الطبيعية (التي تنحتها قوى الطبيعة على مدار السنين فتهز سطح الأرض فجأة في غضون ثواني كونها مجمل التغيرات والأحداث التي تنشأ على

الكرة الأرضية بشكل طبيعي لحدوث اسباب تدفع لحدوث مثل هذه الظواهر تكون مصدر للتعجب) [٤] ، اذ تتميز بكونها فطرية لا تعتمد على الإنسان لحدوثها. وقد تكون هذه الظواهر مصدر خطر على الحياة اوقد تكون شيئاً إيجابياً ولها أثر جيد على الحياة جميعها بما في من جبال وانهار وسهول .

وان هذه الظواهر خدمت ثورات وتمردات الممالك التي حاولت فرض هيمنتها على أراضي المسلمين، واسترجاع الأندلس الإسلامية منهم، وقد حدثت بين هذين الطرفين ثورات وتمردات عدة ومن هنا يأتي عنوان موضوعنا **(دور الطبيعة في حسم الثورات والتمردات في عصر الأمارة الاموية في الاندلس ١٣٨-٣١٦هـ)** اذ عرفت الطبيعة عدة تغيرات حسب الظروف المناخية، فتراوحت بين مد وجز طيلة هذه المدة، ومن هنا جاءت الإشكالية التي تتمحور حول دور الطبيعة في حسم الثورات والتمردات في عصر الأمارة الاموية في الاندلس ١٣٨-٣١٦هـ).

سنتناول في هذا البحث **اثر الظواهر الطبيعة في المعارك والاضطرابات وتمردها في عصر الامار الاموية (في الاندلس ١٣٨-٣١٦ هـ.) في عدة نقاط:**

١. اثر الجبال **في المعارك والاضطرابات وتمردها** في عصر الامار الاموية (في الاندلس ١٣٨-٣١٦ هـ.)

٢. اثر المياه في **المعارك والاضطرابات وتمردها** في عصر الامار الاموية (في الاندلس ١٣٨-٣١٦ هـ.)

٣. اثر الفيضانات والثلوج في **المعارك والاضطرابات وتمردها** في عصر الامار الاموية (في الاندلس ١٣٨-٣١٦ هـ.)

اثر الطبيعة في المعارك والاضطرابات وتمردها

لعبت الطبيعة دورها الأكبر في الأندلس يعود ذلك لموقعها الجغرافي حيث وصفها ابن حوقل في قوله عنها ان الأندلس جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، وطولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة، وتغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر يصب البحر من مغربها والخليج من مشرقها ولها اسوار حصينة وقلاع منيعة(٥)

تميزت بمناعة جبالها وخصوبة ارضها وجريان انهارها وما نتج عنها تنوع مناخها كل هذه الأمور اما تكون بصالحهم او تكون ضدهم وان اول هذه العوامل ستكون الجبال

١.اثر الجبال في المعارك والاضطرابات وتمردها في عصر الامارة الاموية في الاندلس ١٣٨-٣١٦ هـ.

كانت الاندلس عبارة عن هضبة، تنحدر من الشرق إلى الغرب، وتتخللها مجموعة من السلاسل الجبلية الشاهقة الارتفاع. ففي الشمال نرى جبالاً عالية تسمى جبال (البرت) ، إذا عرفنا أن هذه المنطقة هي المنطقة البرية الوحيدة التي تصلها بأوروبا عبر فرنسا. كما تسمى هذه الكتلة الجبلية أحياناً بجبال البيرينيه، وأحياناً بجبال البرانس (٦) .

ويلي هذه الجبال إلى الغرب جبال الكانتابريك المجاورة لخليج بسكاي. أما إلى الجنوب من جبال البرت والكانتابريك، فتقع سلسلة جبال سييرامورينا جبال قرطبة، ويلي هذه السلسلة إلى الجنوب بالقرب من البحر الأبيض المتوسط سلسلة جبال سپيرانيبادا، التي سماها العرب في العصور الوسطى جبال الثلج أو جبال شلير، من منطلق أن الثلج يكاد يغطيها معظم أيام السنة، وهي من أعلى جبال شبه الجزيرة الإيبرية على الإطلاق، كما أن وديانها تُعد من أعمق الوديان في أوروبا، وهذا ما جعلها في بعض الأحيان ملاذاً يلتجأ اليها بعض الثائرين (٧).

وهـذا يفسـر قيـام المسـلمين فـي مختلـف العصـور بمقاومـة الثـائرين والمتمـردين وسـاعدتهم الظـواهر الطبيعيـة علـى المقاومـة فكانـت تلـك الجبـال شـبكات دفاعيـة وحصـون قويـة ، يتخـذها الثـائرين ملجـأ الـيهم يحتمـون بهـا فـي اغلـب ثـوراتهم ومختلـف تمـرداتهم التـي كـانوا ينفـذونها بـين الفينة والأخرى على امتداد زمن الوجود العربي في الأندلس[٨]

ثـم ينحـدرون مـن مضـاربهم فـي الجبـال والهضـاب فـي موجـات عاتيـة ويتـدفقون علـى الغـزاة ويقطعـون علـيهم خـط الرجعـة ويمزقـون صـفوفهم ثـم يغيـرون علـى الحواضـر ويـدمرون العمـران لـذلك اسـتمرت الثـورات وحركـات التمـرد سـنين طويلـة وتعـرض امـراء هـذا العصـر الـى تمـردات كثيـرة لـم تشـهد الصـور السـابقة لهـا نظيـر ولـم يكـد يسـتقر عبـد الـرحمن الـداخل(١٣٨-١٧٢هـ) فـي الأنـدلس حتـى قامـت عليـه الثـورات الخارجيـة وبلغـت فيهـا الفـتن الداخليـة وبلغـت المخـاطر الخارجية اوجهها[٩]

فنجـد ان الجبـال والسـهول كانـت عـائق امـام المسـلمين فـي احـدى الثـورات البربريـة الخارجيـة لعبـد الـرحمن داخـل عنـدما اختـار فـي حملتـه سـنة(١٥١هـ=٧٦٨م) حبيـب بـن عبـد الملـك، واختـار حبيـب علـى شـنت بريـة عثمـان بـن مـروان بـن إبـان بـن عثمـان بـن عفـان" وأمـره بطلـب شـقيا [١٠] الـذي أفسـد فـي الأرض ، واتبـع فـي قتالـه مـع جنـد الأميـر طرائـق البربـر المعروفـة فـي القتـال، وهـي الكـر والفـر، وتجنـب الالتحـام مـع العـدو فـي معـارك حاسـمة فـي السـهول متخـذاً مـن الجبـال والمنـاطق الـوعرة أمـاكن حمايـة لـه.[١١] وراع شـقيا فـي الجبـال فكـان إذا أمـن انبسـط، وإذا خـاف، صـعد الجبـال بحيـث يصـعب طلبـه، واشـتد أمـره وطـار وغلـب علـى ناحيـة قوريـه القريبـة مـن مـاردة[١٢]، لأنهـا مـن الأراضـي الواسـعة تحيطهـا الحصـون لـن يـتمكن الجـيش مـن الوصـول اليهـا [١٣]،ثـم اتخـذ مـن شـنت بريـة مسـكناً لـه لمـا تمتـاز بـه مـن كبـر مسـاحتها و كثـرة خيراتهـا، لهـا حصـون كثيـرة ومـا بينهـا وبـين قرطبـة ثمـانون فرسـخًا [١٤] وهروبـه مـن بلنسـيا القريبـة مـن الشـاطئ الغربـي للبحـر الأبـيض المتوسـط لسـهولة دخولهـا كمـا تمتـاز بمحاصـيلها الزراعيـة

وحركتها التجارية الكبيرة وهي من الصفات التي تمتاز بها المدن الضخمة [١٥] فأصبحت بلنسيا[١٦] قاعدة قوية في الأندلس تنطلق منها الجيوش الإسلامية وقاعدة عسكرية قوية لحسم الثورات والقضاء على التمردات في بلاد الأندلس.

كانت الجبال في جانب المسلمين عندما قام شارلمان حملته الخارجية سنة(١٦١هـ=٧٧٨م) على الأندلس في عهد عبد الرحمن الأول والتي اندلعت في مختلف أنحاء الأندلس[١٧] عندما تعرضت مؤخرة جيشه للإبادة والسلب من قبل قبائل الباسك الجبليين الذين ثارت ثائرتهم لما تسبب به شارلمان من تدمير لمدينتهم بمبلونة (Pamplona) [١٨] في طريق العودة عند مرورهم عبر ممر الرونسفال[١٩] في جبال البرانس[٢٠]هذا الممر المؤدي إلى فرنسا عندما عبره الملك (شارلماني) في الهجوم على البلاد الإسلامية ويعد هذا الممر من المداخل الضيقة التي تمتاز بهيمنة سهولها وكتلها الصخرية المنخفضة المنتشرة في المجاري و لكونها حواجز حدودية تمنع الهجوم من جانب العدو[٢١] فهي معابر عالية تعلو حسب علو الجبال تكثر فيها العقبات ويمر السائر فيها بكثير من مناسب الثلج فهي من البتات التي يصعب العبور منها الا ان المسلمون قد تمكنوا من النفوذ اليها عن طريق مضيق رولان فتمكنوا من العبور منه على مثلجة لا تخلوا من خطر لأنها ابداً تقذف بالصخور وبقطع الثلج الكبار وقد سبق هلاك المارة من هناك[٢٢]

وكانت الجبال عقبة امام المسلمين عندما واجه هشام بن عبد الرحمن الرضا سنة(١٧٢-١٨٠هـ)[٢٣] أولى الصعوبات التي تغلب عليها في ثورته الداخلية التي شنها ضده اخويه سليمان ،وعبد الله ، للحصول على السلطة والاستيلاء على قرطبة ، الذين ادعيا حقيهما بالخلافة ،وتحالفا ضد اخيهما ، و أعلنا الثورة فيها، وان لقوة جيشه في مواجهة اخويه[٢٤] ادت بسليمان إلى الهرب و التخفي، متخذاً من مدينه طليطلة[٢٥] ملجأ اليه كونها هضبة صخرية ومنطقة إقليمية ومركز الأندلس هي من الجزيرة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة

تدركها من جميع نواحيها ويستوي في الأضرار بها قاصيها ودانيها [٢٦] ولوقوعها في الإقليم الخامس من الأقاليم تشكل ربع معمور الأرض[٢٧]، تتمتع بحصانة طبيعية كبيرة يندر وجودها في مدينة اخرى يحيط بها سلاسل جبلية كبيرة إضافة الى احاطتها بالمياه من جميع جهاتها كنهر تاجة الكبير فتقل فيها وسائل الملاحة[٢٨] لذلك يصعب على الجيوش البرية عبور ذلك النهر لبعد مسافته عن المدن الأخرى كما يصعب عليهم عبور سلاسلها الجبلية كونها تحتاج الى زمن طويل مما تؤدي الى انهاك الجيش حال وصوله اما اخوه عبد الله الأمان بعد ما ادرك ان معركته مع أخيه خاسرة ففر الى بلنسية[٢٩] ليحتمي بجبالها لما تميزت به من اختلاف طرقها وعدم استقامتها لذلك يصعب الوصول اليها[٣٠]

استمرت المعارك بشكل متعاقب وباتت الغزوات مستمرة وكان النزاع على سيطرة الحكم في داخلها قائماً حتى تعرضت الأندلس في سنة (٢١٣هـ-٨٢٦م) في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني بن الحكم الى ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي الداخلية التي كانت بدايتها في الشمال الأندلسي فهي مناطق ذات طبيعة جغرافية وعرة ولاسيما مناطق الثغور اذ يصعب الوصول اليها لقربها من خط الحدود[٣١] واتخذوا ماردة مسكناً لهم لمناعة وحصانة اسوارها واتخذوا من الحصون معاقل لهم متجهين الى حصن منت شلوط على مقربة من بطليوس [٣٢] وحصن شنت اقروج قرب ترجيلة اتخذوها ملجأ اليهم. [٣٣]

اذ كانت الجبال عقبة امام المسلمين وعائق مرير امام مخططاتهم اذ لم تمكنهم من البلوغ فشكلت عائقاً طبيعياً للاتصال بين المدن والمراكز السكانية المنتشرة فوقها وتلك المنتشرة فوق السهول والوديان. في الوقت الذي قام فيه عمر ابن حفصون بتمرده وعصيانه على السلطة الأموية في قرطبة سنة(٢٦٧هـ) في عهد الحكم بن هشام اذ ساعدته طبيعة الجغرافية الجبلية على سهولة العصيان[٣٤] والالتجاء الى المناطق المنيعة متخذاً من قممها الجبلية حصناً له لكونها أراضي دفاعية يعسر الهجوم فيها فهي أراضي سهلية منبسطة ذات

طبيعة صحراوية يصعب الوصول اليها على عكس الطرق الساحلية [٣٥] هذا ما أدى الى تمكنه من مهاجمة المناطق الاخرى والتوسع في الأغارة حتى وصل الى المناطق القريبة من قرطبة ذاتها وقد طالت فترة تمرده وعاصرت هذه الحقبة الأمراء الثلاثة الذين حكموا في هذه الحقبة ولم يتمكنوا من القضاء على تمرده [٣٦]

اذ كانت الجبال عقبة امام المسلمين في حينها وكانت ملجئ لأبن حفصون يتمي بها طيلة السنوات التي مرت في عصيانه والاستمرار في تمرداته حتى مجيء الأمير عبدالرحمن الناصر سنة (٣٠٠هـ)، فقد أَدرك المتمردون وعلى رأسهم ابن حفصون أَن الإمارة الأُموية عازمة على القضاء عليهم لا محالة، وكذلك كان لسياسة الأَمير عبدالرحمن الناصر في مسامحة وإكرام المتمردين الذين يرجعون إلى صفوف سلطان الدولة، أثر بارز في تخلي كثير منهم عن موقفه وعودته إلى صفوف الإمارة وانضموا إلى قوات الجيش[٣٧]نجحت خطة الأَمير عبدالرحمن الثالث، في تحجيم ابن حفصون وأَخضعته للأمر الواقع عندئذ طلب الصلح سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) واعترافه بسلطة الأَمير عبدالرحمن بعد أَكثر من ثلاثين سنة من التمرد والعصيان، فأجاب الأَمير عبدالرحمن الثالث طلبه وعقد معه عقداً ينص على ترك الحصون التي هي تحت سيطرته وبيده والتي بلغت (١٦٢ حصناً) [٣٨]

اما في موسم الصوائف[٣٩] عندما قرار الناصر بتوجيه حملة شنتبرية[٤٠]على يحيى بن موسى بن ذي النون في سنة(٣١٢هـ-٤٢٩م) الذي كان مستمراً بعصيانه واتخذ من الثغور موطناً له مما جعل الناصر توجه محاولاً استمالة العصيان في طليطلة لكنه لم ينجح في ذلك لما تتميز به المدينة من موقعها الصعب لمناعتها الطبيعية وطرقها الصخرية الوعرة لأنها تقع على المنحدر الصخري قرب نهر التاجة المحيط بها إضافة الى حصونها القوية واسوارها العالية الضخمة جعلها من اكثر مدن العصور الوسطى مناعة وتعد مثوى التيارات النصرانية مما جعل الخليفة يأمر ببناء مدينة صغيرة فوق الجبل لتكون مخيماً له ولعسكره

وسماها مدينة الفتح[٤١]. التي مكنت الناصر من محاصرته مما أدى بيحيى بن موسى بن ذي النون الخضوع له و طلب الأمان بعد محاصرته فقبله الناصر [٤٢]

تبين لنا أن الجبال كان لها اثر واضح ودور كبير في الكثير من المعارك ولاضطرابات التي حصلت، كما كان لها اثراً سلبياً في مجابهة العصيان والتمرد كون المتمردين قد تحصنوا في أماكن عالية وصعبة الوصول الامر الذي أنهك جيش الامارة في الكثير من المواقع التي حصلت وسبب لهم في الكثير من الخسائر سواء كانت بشرية أم مادية كون المتمردين اتخذوا من هذه الأماكن المنيعة والصعبة الوصول مقرات لهم يصعب على جيش الامارة اختراقها بسهولة فضلاً عن الكمائن الكثيرة التي كان يقوم بها المتمردون مستغلين مواقعهم الحصينة للإيقاع بجيش الامارة واعاقة تقدمه.

كذلك الحال كان للجبال اثر ايجابياً في بعض المواقع كونها قدمت حماية طبيعية من هجمات المتمردين عليهم لاسيما أن حركة المتمردين تتحدد في مسارات محدده الامر الذي سهل على جيش الامارة من مسك جوانب هذه الممرات واعاقة المتمردين، فضلاً عن قطع طرق العودة التي كان يستخدمها المتمردين اثناء نزولهم من الجبال.

٢. اثر المياه في المعارك والاضطرابات وتمردها في عصر الأمارة الاموية في الاندلس ١٣٨-٣١٦ هـ.

تأتي الأنهار المظهر الطبيعي الثاني الذي له اثرً بالغ الأهمية في سير حركة التاريخ من حيث انها عدت عاملاً مضافاً الى عوامل أخرى في المعارك تمرداتها والاضطرابات التي حدثت في بلاد الأندلس.

فنجد ان الأنهار وقفت عائق امام المسلمين في سنة(١٣٨هـ-٧٥٥م) في معركة يوسف الفهري عندما ارتفع منسوب مياه النهر ولم يتمكنوا من عبورها لذلك فجعلت اتخذ عبد الرحمن بن معاوية يتخذ طرق مغايرة حيث اتخذ من مضيق جبل طارق معبراً له لدخول

الأندلس كون الجبل يمثل موقع استراتيجي مهم ومعبر طبيعياً امناً للانتقال بين الجانبين ويعد نقطة اتصال بين المغرب وشبه الجزيرة والمتحكم في المضيق ضد أي هجوم على شبه الجزيرة من ناحية الغرب كون[٤٣]واخضع البلاد كافة في طريق زحفة الى اشبيلية[٤٤] لوقوعها على ضفاف نهر الوادي الكبير كونه من الوديان (الأنهار) المهمة، التي تسير مواكبة حالة الانحدار في شبه الجزيرة الإيبرية المنحدرة من بين السلاسل الجبلية [٤٥] اذ تمكن من ضمها اليه كما نجح في دخوله الى قرطبة[٤٦] التي اتخذها قاعدة حربية للأندلس سالكاً طرقها البحرية بعد ان هزم يوسف بن عبد الرحمن الفهري في موقعة المصارة [٤٧] الواقعة جنوب الوادي الكبير ويعد من اهم الوديان في اسبانيا ومن الوديان (الأنهار) الدائمة الجريان طوال أيام السنة التي تتميز بارتفاع منسوب مياهها، [٤٨] ويذكر بعض المؤرخين اخباراً عن الزائر إلى الأندلس بأنه لا يسير فرسخين إلا ويجد أمامه ماء، إذ يشقها أربعون نهراً، ومدينة سرقسطة وحدها تقع على خمسة انهار [٤٩]

اما في سنه(١٣٨هـ-٧٠٦م) عند الموقف المتعلق بنزول عبد الرحمن إلى الأندلس، ونصيحة الصميل يوسف بوجوب التوجه فوراً لملاقاته وكان يوسف يرغب فعلاً في هذا، ولكن هذه الأنباء انتشرت بسرعة بين صفوف الجيش، وسببت قلقاً عظيماً في المعسكر.

لا سيما وأن الكثيرين من أتباع يوسف كانوا متعبين من أثر حملة كانوا قد قاموا بها على بلاد البشكنس أو الباسك، كما كان البعض منهم ساخطين على يوسف والصميل لقتلهما الزعماء القرشيين المتمردين في سرقسطة[٥٠].

نتيجة لذلك فقد رفض جنود يوسف الشروع في حملة جديدة، وغادروا معسكره، ولم يبقى معه من أجناد اليمن سوى عشرة رجال. أما بقية الجيش الذي يضم الشاميين في جندي جيان[٥١] والبيرة[٥٢]، فقد ظلوا لكنهم كانوا قد ملوا السفر، ولهذا حاولوا تهوين الأمر على يوسف وإقناعه بالمضي إلى قرطبة أولاً. لكن الصميل أصر على رأيه الأول في مهاجمة عبد

الرحمن بأسرع ما يمكن، فتوجه الجيش لهذا الغرض، وكانت هذه الحملة في وقت حلول الشتاء الذي يمتاز بكثافة الأمطار المؤدية الى فيضان الأنهار، جعل من المتعذر الاستمرار بالحملة لبرودة الجو وعدم قدرتهم على القتال في جو ماطر لهلاك ابدانهم وعدم قدرتهم على الحركة في ارض وحلة وفقدانهم السيطرة على حمل سلاحهم، لذلك أمر يوسف جنده بالرجوع إلى قرطبة (٥٣)

اما في سنة (١٨٥هـ) كانت للأنهار موقفها في الوقوف الى جانب المسلمين وتمكنهم من اجتياز عقباتها عندما سير الحكم صاحب الأندلس جيش مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فدخل البلاد وبث السرايا ينهبون ويقتلون ويحرقون وسير سرية فجازوا خليجاً من البحر كان الماء قد جزر عنه، وكان الفرنج قد جعلوا أموالهم واهليهم خلف هذا الخليج ظناً منهم ان لا احد يمكنه من العبور اليهم لكن ظنونهم قد خابت وتمكن المسلمين من اجتياز الخليج متخذين من المسالك الجانبية طريقاً لهم مستكشفين المناطق المجهولة التي كانت تنحدر انهارها من الجبال واتخذوا منها عامل مساعد للتوغل في أراضيها واسروا رجالهم وقتلوا الكثير منهم وعادو سالمين الى عبد الكريم(٥٤).الا ان الأنهار لم تدم الى جانب للمسلمين حتى أصبحت سبباً في هزيمتهم وذلك لاجتياح البرابرة النورمانديين الأندلس ابتداء من أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط طمعاً في شواطئها الخصبة وكانت أولى غزواتهم سنة (٢٢٩هـ) بتعرض مدينة اشبونة (٥٥) لهجوم صاعق قوامه عدد كبير من السفن اجتازوا مطب الوادي الكبير وتمكنوا من الاستيلاء على الجزيرة الخضراء كونها منطقة مفتوحة يسهل الدخول اليها مما أدى الى انحطاط البحرية الأندلسية مقابل الخطط السريعة والمتقنة لدى النورمادين جعل من الأندلس لقمة سائغة سرعان ما هوت تحت ضرباتهم مثلما هوت الإمبراطورية الرومانية تحت ضربات الجرمان(٥٦) وكانت الأنهار عائق امامهم الأمر الذي جعل من هذا الهجوم سبب في تنبيه الأمير عبد الرحمن الأوسط الى ضرورة التركيز على

الأسطول البحري فقام ببناء اساور عالية تحيط بأشبيليه واحدث في مينائها دار كبير لصناعة السفن وشحنها بكل أسلحة البحر واقامة العديد من الرباطات والمحارس على طول الساحل الغربي، المطل على المحيط الأطلسي وقد وضع الأسس الحقيقية للأسطول العربي في الأندلس(٥٧).

وفي سنة (٢٣٦هـ-٨٥٢م) وقعت المعركة الجزيرة الخضراء الواقعة في الأندلس بقيادة طارق بن زياد مولى موسى بن نصير في قرى رية(٥٨) المشرقة على البحر وتطل اسوارها عليه جامعة للبر والبحر قريبة المنافع من كل وجه هي من الثورات البربرية لحبيب البرنسي بجبال الجزيرة الخضراء(٥٩)

كونه جبل منقطع عن الجبال مستدير في اسفله كهوف وفي مياهه قاطرة جارية قريب منه مرسى الشجرة ونظراً لأحاطتها بالمياه من جميع الجوانب فقد اتخذوا من الطريق البحري الذي يقع بين الجزيرة واشبيلية مسلكاً لهم بدلاً من الطريق البري لحدوده الضيقة (٦٠) بما ان الطرق البحرية مفتوحة كونها طريق طبيعية يسهل المرور فيها فهي متعرضة بفعل عناصر الجو الى الاضطراب بدرجات متفاوتة حسب قوة الأعاصير والرياح اذ تقوم السفن بتغير خطوطها من انٍ لأخر متجنبة الخسائر وان البحار الشمالية معرضة لأخطار الجليد العائم(٦١) ولأنه من الطرق الطبيعية خاضع لسلطان الظواهر الطبيعية أدت الى اجتماع الكثير من اهل الشر والفساد اليه فأخرج عبد الرحمن الاجناد فلما وصلوا اليه وارغموه على الخروج وقتلوا الكثير من رجاله بينما تمكن الباقون من الفرار ولم يظفروا بحبيب البرنسي(٦٢)

اما في سنة(٢٥١هـ-٨٦٥م) التي وقعت فيها معركة نهر ابرة التي كان على رأسها المنذر بن عبد الرحمن وكانت قيادة الجيش للحاجب عيسى بن الحسن بن ابي عبيدة فاتخذوا من نهر ابره طريق لهم وتمكنوا من الاستيلاء على حصون اكابر النبلاء في تلك المنطقة وحاول اردرنيوا كعادته اعتراض طريق المسلمين عند العودة وكمن لهم في موضع يسمى(بفج

المكرور) على مقربة من نهر ابره [٦٣] اذ ينبعث من جبال القلاع يمتاز بحصونه والكور المتصلة عامرة من كل جانب فنشبت بينه وبين المسلمين معركة تمكن المسلمين من خلالها قتل الكثير من النصارى واغراق الكثير منهم في النهر لعدم سيطرتهم على البحار [٦٤]

نظراً لتميز الأندلس بأنهارها الكثيرة ومياهها الوفيرة جعل منسوب مياهها يرتفع في اغلب فصول السنة مسبب الفيضانات لأغلب مناطقها يأتي ذلك لأهمية المرتفعات الجبلية الرئيسية التي تحيط بها اذ تشكل مورد مهم لروافد الأنهار بمصادرها المائية التي لا تنقطع صيفاً ولا شتاءاً من امطار غزيرة وثلوج التي تتحول في اغلب الأحيان الى سيول جارفة تنهمر من قمم جبالها لتضرب كل شيء يصادفها مسببة خسائر فادحة[٦٥].

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نلتمس بأن الأنهار تمثل المظهر الطبيعي الثاني الذي كان من المظاهر المهمة التي لها اثر مهماً في خمد الكثير من الاضطرابات والتمردات التي قامت ضد الامارة، وكذلك كان لها اثراً سلبياً كبيراً لاسيما عند ارتفاع مناسيب الأنهار وزيادة كمية المياه مسببة صعوبة كبيرة في تجاوزها لاسيما مع الإمكانيات البسيطة التي كان يمتلكها المسلمون كذلك الحال كان للمياه دوراً ايجابياً ساعد جيش الامارة من القضاء على بعض المعارك لاسيما عندما يكون جزر في المياه إذ استطاع جيش الإمارة من قطع طرق الامداد لجيوش العدو الامر الذي حجم من قوتهم ثم القضاء عليهم.

من هنا يأتي اثر الفيضانات والثلوج في اغلب المعارك والاضطرابات للمتمردين في الأندلس.

٢.اثر الفيضانات والثلوج في المعارك والاضطرابات وتمردها في عصر الأمارة الاموية في الاندلس ١٣٨-٣١٦ هـ.

من الطبيعي ان تشكل الأمطار الغزيرة والثلوج إلى زيادة نسبة تدفق المياه إلى الأنهار وارتفاع منسوبها ونظراً لعدم وجود سدود ناظمة لحماية المدن من الفيضانات لذلك تعرضت مدن الأندلس إلى العديد منها[٦٦]،فقد عم الفيضان في عدد من السنين لغزارة امطارها مما ادى الى تدفق المياه الى مدينة قرطبة بشكل كبير [٦٧] قد تعرضت قرطبة واشبيلية إلى مد وارتفاع منسوب ماء نهر وادي الكبير الذي يمر فيهما وحملت الروافد التي تصب في النهر مياه إضافية مما أدى إلى فيضانات عارمة اجتاحت القرى والمدن التي تحيط بالنهر[٦٨] ولا سيما وادي شنيل من روافد نهر قرطبة الذي تسبب في تدمير ست عشرة قرية من قرى اشبيلية، اما وادي تاجة من أودية نهر قرطبة التي دمرت ثماني عشرة قرية وبدا الوادي من كثرة تدفق مياهها إلى نهر عرضه ثلاثين متراً، فضلاً عن تدمير الطرق والقناطر المقامة على الأنهر ولا سيما قنطرة استجة[٦٩] التي تدمرت منها حنيتن من أقواسها، وغرق فيها أيضاً أناس كثيرون وبهائم والأمتعة والحبوب، لأن الأنهار الكبيرة تقع في القسم الشمالي الغربي الذي فقد المسلمون سيطرتهم عليه لكثرة الغزوات والتمردات في تلك الفترة وعدم قدرة الجيش من الصمود امام تلك العوامل الطبيعية[٧٠]

فكان لفيضانات سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م) في مدينة تطيله عاملاً مهماً ساعد الجيش الأموي للقضاء على تمرد محمد بن لب الذي كان يحاصر مدينة سرية وهي من الحصون التي يتواجد فيها جند الإمارة وهي من الثغور الإسلامية الشمالية القريبة من قشتالة [٧١] التي امتازت بغزارة امطارها وارتفاع منسوب مياهها أدت الى فيضانات عارمة اجتاحت المدينة والتي ساهمت في هروب محمد بن لب بن موسى الذي لم يتمكن من فتح مدينة سرية التي تعرضت قناطرها الى اضرار فادحة أدت الى سقوط المباني وغمر الأرض بالمياه المتدفقة مما أدى الى تلف الطبقة العليا من الأرض لتعدي الماء حدودها الطبيعية أدى الى فيضان انهارها وبحارها المطلة على الشاطئ[٧٢]

وقد كان للمناخ اثره الأعظم عندما كان احد أسباب فشل المسلمين في احدى معاركم المتعاقبة على النصارى سنة (٢٥٢هـ-٨٦٦م) عندما ارد محمد القضاء نهائياً على مملكة جليقية حيث اتخذ من المياه الغربية طريقاً له وعمل على تسير السفن في شواطئ جليقية بقيادة امير البحر عبد الحميد بن مغيث [٧٣] ليتمكن من غزوها من جهة البحر فتمكن الأسطول الأندلسي من الوصول الى مصب نهر منهو الا ان هبوب العواصف واثارتها أدت الى تحطيم سفنهم وغرق معظمها في المياه الغربية وبذلك فشلت الحملة في مهدها [٧٤]

لقد اتضح لنا ان الفيضانات الناتجة عن تساقط الامطار وذوبان الثلوج اثراً بالغاً وفضلاً كبيراً في الحد من الهجمات التي كان يقوم بها المتمردين وفي حسمها للكثير من المعارك كونها كانت عائقاً كبيراً على حركتهم الأمر الذي استغله جيش الامارة في اخماد التمردات والمعارك التي كانت تخرج ضدهم، خاصه في أوقات ارتفاع مناسيب المياه واحداث فيضانات سببه تدمير الكثير من الطرق والقناطر الامر الذي كان عائقاً امام تقدم المتمردين وحد من حركتهم.

هنا تم ذكر الأحداث والثورات التي حدثت خلال تلك الفترة المذكورة والتي كان للعظواهر الطبيعية اثر فيها وليس بمقدور الأنسان ان يتدخل فيها او يوقفها فأنها من قدرة الخالق والتي كانت عوامل مساعدة للجيش احياناً لتحقيق انجازاتهم وعائق لهم في أحيان أخرى

الهوامش والمصادر:

١. المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد(٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،(ط٣، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ /١٩٩١م)،

٢. الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم(ت٩٠٠ هـ/١٤٩٤م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، تحقيق: أ. لفي بروفنسال،(ط٢، بيروت، لبنان، دار الجيل، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨ م)،.

٣. القزويني اثار البلاد واخبار العباد، ص٥٥٢، مؤلف مجهول ، كتاب الأندلس وما فيها من بلاد، ص٢٦.

٤. ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت٦٥٨هـ/١٢٥٨م، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، (ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٨م)، ١٩٧/١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: سيد كسري حسن، (د. ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت)، ج٢.

٥. ان دوبرواز واريك سينادرا: ترجمة هلا امان الدين، (الظواهر الطبيعية التأثيرات الباطنية والجوية) ، الرياض، ١٤٣٥هـ٢٠١٤م،.

٦. الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية الهنداوي للنشر، ٢٠١٧م

٧. أحمد مختار العبادي – في تاريخ المغرب والأندلس طبعة دار المعارف

٨. ابن حوقل أبو القاسم بن حوقل النصيبي (٣٨٠هـ-٩٩٠م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، بدون تاريخ

٩. ابن حيان، المقتبس من انباء أهل الأندلس، تح: بدرو. شالميتا، وآخرون (مدريد، المعهد الاسباني الغربي للثقافة،١٩٧٩)، ج٥.

١٠. الزهري، محمد بن ابي بكر، الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، م ٢١ دمشق، ١٩٦٨م.

١١. إبراهيم القادري بوتشيش، اثر الأقطاع في تاريخ الأندلس السياسي في منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (٢٥٠هـ-٣١٦هـ) .

١٢. ابن الكربدوس، الأكتفاء في اخبار الخلفاء تحقيق صالح بن عبد الله الغامدي ،ج١، الجامعة الأسلامية، المدينة المنورة، ط١، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١٣. ابن الشباط، صلة السمط وسمة المرط،ص١٤٧، ١٤٨؛ أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الأدريسي (من علماء القرن السادس الهجري)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لا.ط، مكتبة الثقافة الدينية-لا.م-٢٠٠٢م،ج٢.

١٤. أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة،(ط١)، دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٣م، ج٢

١٥. تاريخ المغرب والأندلس، عصام الدين الفقي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٧٤؛ دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (١٣٨-٣٦٦هـ=٧٥٥-٩٧٦م)، محمد مرسي الشيخ، مؤسسة دار الثقافة الجامعية، بلا، ١٩٨١م

١٦. سحر عبد العزيز سالم ، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة،الأسكندرية،ج١، ص ٢٤٣.

١٧. كارل بروكلمان ،تاريخ الشعوب الإسلامية، ، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٣، ١٩٩٣م.

١٨. بن عبد العزيز البكري ، المسالك والممالك، عبد الله ، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع،، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م

١٩. شكيب أرسلان ،الحلل الأندلسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، المجلد ١

٢٠. أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح، إحسان عباس دار صادر بيروت، ١٩٨٨، ج١،ص٣٣٤ المزيد ينظر ملحق رقم ٥٧٠١.

٢١. خالد الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا، نهاية الخلافة الأموية : الأندلس، ط١، مكتبة دار الشرق، حلب، (د.ت)

٢٢. ابن صاعد الأندلسي (ت٤٢٦هـ)،طبقات الأمم، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧م

٢٣. علي بن بسام الشنتربني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج١-٢،تحقيق احسان عباس، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

٢٤. ستانلي ليون بول، قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٢١م.

مجلة الدراسات المستدامة
JOSS
Journal of Sustainable Studies

مجلة الدراسات المستدامة
JOSS
Journal of Sustainable Studies